صراع الحضارات

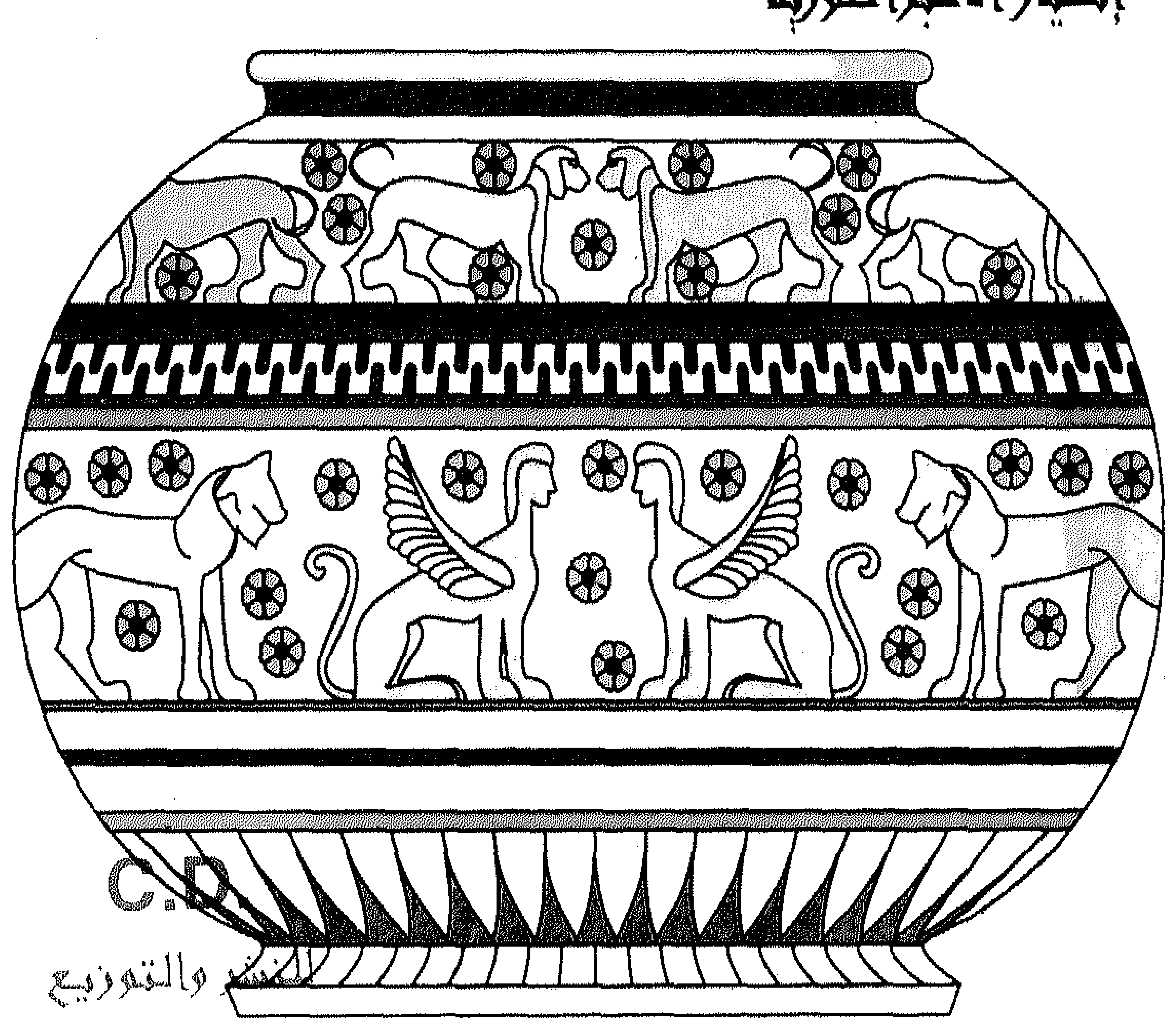
الفرس

الأصل

حروب الفرس

الحياة فى ظل الأمبراطورية

إنهيار الأمبراطورية



C.D.
للنشر والتوزيع

صراع الحضارات

الفرس

حمدى السعداوى



الاسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٠ ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة ٠١٠١٥٠٩٥١٥ ص . ب : ٣٧٠ الإسكندرية

اعداد : حمدى السعداوى

الغلاف : أمل مدنى

التحرير : المكتب الفنى

للنشر والتوزيع

معروف اخوان

المقدمة

يحيط الكثير من الغموض والخفاء بكثير من مراحل التاريخ ، وأحوال الأمم ، علما بأن الوقوف على حقائق الأحداث التاريخية ، ومتقلباتها .. من أرقى أنواع الثقافات التى يحرص عليها أصحاب الفكر والمعرفة ، وذلك لأن فى دروس التاريخ مناهج تتبع ، وعبراً لها أهميتها .

لذلك نقدم فى هذا الكتاب بحثا تاريخيا حول أحوال وحياة أمة الفرس ، ومدى ارتباطها بالعقائد والسياسات المختلفة . وماتضمنته من أساليب الظلم أحيانا والعدل حينا . وما تنطوى عليه من المبادئ المختلفة المتنوعة .

وفى توضيح وتبيين تتبعنا هذا التاريخ حتى أشرق فجرالتاريخ الإسلامي العظيم ، الذى محا بنور عدالته ظلمات البغى والطغيان المتمثلين فى دنيا عبدة النار والأوثان .

نسأل الله العلى القدير أن يتقبل منا هذا الجهد لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الدراسين الباحثين عن الحقيقة عبر التاريخ الإنسانى وأحداث الحياة ..

وعلى الله التوكل وهو المستعان .

المؤلف

الفصل الأول

كانت فارس (إيران حاليا) قلب أمبراطورية عظيمة فى السابق حتى أسقط المسلمون آخر معاقلها والتى كان يحكمها وقتئذ الساسانيون لتدخل فارس كلها الأسلام تذوب فيه ولتصبح فيما بعد من أكبر البلدان الإسلامية وليشارك أهلها بشكل إيجابى فى كافة نواحى الحضارة الإسلامية الشامخة .

تمثل هضبة إيران مثلثا يقع بين منخفضين ، الخليج العربى فى الجنوب وبحر قزوين وهضبة التركمان فى الشمال ، ويحدها من جميع الجهات سلاسل جبلية شاهقة هى جبال البورز وزاجروس وخراسان وجبال مكران ، ويخترق إيران طريق الحرير الشهير الذى يربط بين شرق آسيا وغربها والذى يصل بين الصين فى الشرق والقسطنطينية فى الغرب وفى النهاية الغربية لسلسلة جبال البورز يوجد إقليم أذربيجان ومن هذا المكان بالذات أنحدرت القوات الغازية التى كونت

حضارات متتالية ـ لم تكن مترامية الأطراف بقدر ما كانت حضارات صغيرة قامت أساسا على الزراعة البسيطة وبعض الصناعات المتميزه وأهمها الفخار وأشغال المعادن البدائية .

وحضارة " عيلام " هى أولى الحضارات الفارسية التي تجد لها مكانا فى تاريخ هذه المنطقة هذا إذا ما تجاوزنا بعض الحضارات العابرة الصغيرة ، وعيلام هى أقليم فى آسيا شرق نهر دجلة وتقع الآن غرب إيران ، بدأت الحضارة فيه في الألف الرابعة قبل الميلاد وكانت عاصمتها " سوسة " الواقعة فى جنوب غرب مدينة ديزفول الحالية فى إيران ، وأهم ما يميز هذه الحضارة ـ كما سيميز معظم الحضارات التالية ـ هو تأثرها القوى بحضارة بلاد الرافدين (العراق) حتى ليكاد المؤرخون أن يخلطوا أحيانا بين حضارات هذا الجزء الكبير من العالم .

كانت حضارة عيلام إذن من أولى الحضارات الحقيقية فى هذه المنطقة وقد دلت الآثار التى عثر عليها أن أهلها قد بلغوا قدرا كبيرا فى التقدم الزراعى

والصناعى ، فبجانب المصنوعات الفخارية الراقية والملونة بألوان ثابته بديعة ، كانت توجد صناعات أخرى متميزه من الأثاث المنزلى والأوانى المنزلية المصنوعة من النحاس والبرونز ، كما عرف أهل عيلام الكتابة والتى يطلق عليها " المؤرخون العيلامية البدائية " وهى كتابة تصويرية مثل معظم الكتابات القديمة ، وقد ظلت الخطوط العلامية مستعملة لمدة قرون طويلة .

وكانت عوان هى أهم مدينة عيلامية تفوق فى أهميتها سوسة العاصمة وكانت مكانة العاصمة ترجع فقط إلى أهميتها التجارية أما عوان فقد أزدهرت فيها كل مظاهر الحضارة . وفى عام ٢٣٦٠ ق.م تقريبا تمكن سرجون الأكدى من الاستيلاء على سوسة وسرجون هذا هو ملك أكاد فى بلاد ما بين النهرين حيث كانت آمبراطورية أكاد القوية قد أمتد نفوذها إلى شرق البحر المتوسط وشمال البحر الأسود . وقد بسط سرجون نفوذه على عيلام ، كما فعل أباطرة حضارات ما بين النهرين من بعده ، فقد غزا عيلام أورغو وممورابى ونبوخذ نصر والواقع أن أهل عيلام كانوا ذوى طبيعة عدائية لذا كان خطرهم قائما على الدوام .. فكانت تمردات ملوك

مابين النهرين الدائمة على سبيل الوقاية من خطرهم هذا بالأضـافـة الى مـا تمتع به عـيـلام من مـوارد وخـيـرات جعلتها مطمعا دائما لهؤلاء .

ولكن أشـور بـانيـبـال * ملك آشـور أسـتطا ع في عـام ٦٤٠ ق.م أن يهاجم عيلام ويدمرها تدميرا تاما ، كما خرب سوسة ومنذ ذلك التاريخ لم تقم للعيـلاميين قائمة وخاصة بعد ظهور الميديين الذين بسطوا سلطانهم على كل بلاد ايران .

والميديون هؤلاء كانوا مجموعة من القبائل الإيرانية كـانت تحـارب بعـضـهـا بعـضـا ثم اتحـدوا ليـحـاربوا مملكة آشور وأستطاع أحد زعماوئهم وهو " خشـاترينا " أن يضم هذه القبائل تحت لواء واحد وذلك عام ٦٧٣ ق.م وأن ينشئ الأمبراطورية الميدية والتي كانت عـاصمتـهـا أكـبـاتانا (هـمـدان الحـديثـة) .. والتي تصف المصادر التاريخية عظمة الحياة فيها وتقدمها من جميع النواحي .

* أشور بانيبال : ملك آشور (٦٦٩-٦٣٤ق.م) وقائد عسكري متميز استطاع فتح مصر كما استطاع تحقيق انتصارات عديدة على الممالك المجاورة . بلغت آشور في عهده قمة العظمة ثروة وفنا وثقافة . عثر على قصره ومعابده الرائعة في نينوى بالعراق .

وفى عام ٥٥٠ ق.م تقريبا ظهر قورش ملك أنشان وهو من الأسـرة الأخـمـينية التـى حكمت فـارس أربـعـة أجـيـال مـتعـاقبـة ، واسـتطاع قـورش أن ينتـزع عـرش مـيـديامن أسـتـيـاجس المشـهـور فكون قـورش من الـشـعـبين المنتمين إلى أصـل واحـد (الميـديين والفـرس) أمـة واحـدة تحت سلطانه ، لم يفتح الفرس بلاد ميديا وكان كل ما حدث هو أن أسـرة فـارسـية حلت مـحل أسـرة مـيـدية ، وأصـبح قورش ملكا على ميديا والفرس .

لما خلع قورش استياجس عن عرشه أبقى على حياته (فـقد كـان يمت له بصلة قـرابة) وتفـرغ لتقـوية مملكتـه الجـديدة وقـد صـارت الآن تعـرف باسم مملكة الميـديين والفــرس ووسـع قــورش حــدود شــمــالا واســتطاع أن يســتولى على مملكة ليديا القـوية ومـعظم ولايات آسـيا الصــغــرى . وفـى السنوات ٥٤٥ ـ ٥٣٩ ق.م اســتطاع قورش أن يوسـع حدوده الشرقية ويقويها ضد البدو الذين يعيـشـون على حـدود إيران الخـارجيـة وبعـد أن اسـتطاع تقـوية مركـزه وبسـط سلطانه على كافـة الأنحاء اتجه الى بابل حـيث اسـتطاع فى عـام ٥٣٩ ق.م أن يهـزم الجـيش البابلى فى أوبيس على الضـفة الغربيـة لنهر دجلة . ودخل

قورش بابل بدون قتال .

كان فتح بابل نصرا عظيما لقورش ، فبقدر ما كان هذا الفتح سليما بقدر مارحب به أهل البلاد ، فقد سجد أمامه ملوك البابليين والسومريين والأكاديين وأستقبلوه كـمـحـرر ومـخلص لهم من حكم نبـونايد الظالم . وكان نبونايد هذا حاكما مستبدا أزعج أهالي البلاد بإهماله عبادة الإله (ماردوك) إله بابل الأعظم ، فلما فـتح قـورش بابل عـزا أهلهـا هـذا إلى نصـرة مـاردوك وبالفـعل عـادت إلى هـذا الإله مكانتـه الأولى بـعـد قـدوم قورش وصار يعبد من جديد وتقام له الأحتفالات الدينية اللائقة .

وأعاد قورش الأسرى الإسرائيليين العبيد الذين كان قـد أسـرهم الأشـوريون والبـابليـون ونقلوهم إلى بابل وآشور وميديا فأعادهم قورش إلى فلسطين الأمر الذى جعل اليهود يعتبرونه من مخلصى شعوبهم ومازالوا يمدحون فيه ويعظمونه الى وقتنا هذا !!

كان سقوط بابل حدثا عظيما يعنى فى المقام الأول امـتـداد سلطان الأمـبـراطورية الفـارسـيـة على كل بلاد

الرافدين وسوريا وفينيقيا وفلسطين .

لم يكن قـورش فـاتحـا عظيـمـا فـحـسب بل كـان ملكا عظيمـا ذلك أن حكمـه لم يقـابل بـالإذعـان والرضى فـحـسب بل قـوبل بـالتـرحـاب ولا ريب أن رعـايـاه كانوا ينظرون الى قوته بعين الهيبة المأمونة الجانب وخلا عـهـده من سلخ جلود الناس ومن المذابح و الإبعـاد عن الوطن . *

كـانت مـصـر هي مـحط أنظار قـورش وهدفـه الجـديد ولكنه أنشـغل عنهـا بحـروبه الدائمـة مع قـبـائل البـدو المتناثره حول تخوم الأمبراطورية الجديدة وقد لقي قورش حتفه في أحد هذه الحروب عام ٥٢٩ ق.م وتبقى تفاصيل وفاته سرا حتى الآن .

ورث الأمبـراطورية من بعد قورش ابنه قمبيز وكان ممثـلا لأبيـه في بلاد بابل بينمـا كـان برديا ابن قـورش الثاني حاكمـا على المقاطعات الشرقية . أما قمبيز فقد كـان هدفـه الأول فتح مـصـر ، ولكن كـان عليـه أولا أن يقضي على القلاقل التي تصاحب دائما مجئ ملك جديد

* كانت العقوبات التي تقام على أعداء الدولة من الفظاعة والشراسة بما لا يمكن تصوره وسيتم سرد تفاصيل ذلك في موضع آخر من الكتاب .

.. فقتل أخاه برديا وقضى على بعض المناوشات المزعجة ، ثم تفرغ للتخطيط لفتح مصر ، وكان يحكمها في ذلك الوقت أحمس والذى مات قبل أن يغزو قمبيز مصر .

وكانت مصر فى عهد أحمس تتمتع بتقدم ورخاء عظيمين استمرا طوال فتره حكمه والتى دامت أربعين عاما تقريباً ، ولكن أسباب ضعفها كانت قد تهيأت ونمت فعلا ، فقد كانت الجيوش الأجنبية المأجورة هى حامية البلاد وكان إخلاصهم موضع ريبة كما كان اهتمام أحمس بهؤلاء المرتزقة الأجانب وإغداقه عليهم بالعطايا والمناصب سببا فى تذمر رعاياه المصريين ومن هؤلاء المتذمرين أحد القادة المصريين وكان اسمه فانيس الذى فر من مصر وعرض خدماته على قمبيز .. إلا أن أحمس قضى نحبه .. وجاء من بعده أبسماتيك الثالث وفى عهد ذلك الملك أستطاع قمبيز بمشورة فانيس الخائن أن يحصل على المياه اللازمة له ولجنوده وهو يخترق الصحارى الجنوبية فى طريقه لغزو مصر فلما وصلت جيوشه إلى حدودها لم تلق مقاومة تذكر إلا من قلعتى هوليوبوليس وممفيس .. ولكنه فى نهاية الأمر .. سقطت

مصر في قبضه قمبيز . وأصبحت ولاية فارسية فى ربيع عام ٥٢٥ ق.م .

فلما دانت مصر لقمبيز .. أعلن نفسه فرعونا وبدأ فى التصرف كملك فرعونى صميم أحد أبناء الألة آمون . وأراد قمبيز أن يضم إليه واحة آمون ولكن هذه الحملة منيت بعواصف الصحراء التى هبت عليها فأبادتها .. وحاول بعد ذلك أن يخضع مملكة بناث في بلاد النوبة لسلطانه ولكن قوافل الزاد والمؤن ضلت ، فاضطر أن يقفل بجيشه راجعا بعد أن أصاب الجوع والتعب كل فرد من قواته وكان من أثر ذلك أن جن جنون قمبيز فصب جام غضبه على الديانة المصرية التى حاول فى بادئ الأمر استرضاءها وتعظيم آلهتها ، فأنتهك حرمة المعابد واستولى على ممتلكاتها وأموالها ، واضطر الكهنة إلى البحث عن الحبوب وحيوانات القرابين . كما قتل العجل آبيس . كل ذلك أثار سخط المصريين ودفعهم للقيام بثورات كبيرة لطرد الفرس .. وأخيرا نجحت حركة التحرير التى قادها (إمرتى) مؤسس الأسرة الثامنة والعشرين ولكنه لم يعمر طويلا فقد قتله نفرتيس أحد الأمراء وأستولى على السلطان مؤسسا الأسرة التاسعة

والعشرين ولكنها لم تعمر طويلا أيضا لأن الفرس حاولوا من جديد بسط سلطانهم على مصر ولكن نظرا لأنشغال هؤلاء (الفـرس) فى حـربهم مع قـبـرص أضطر قـائد الأسطول الفارسى أن يتحـالف مع ملك مـصـر أخـورس الذى خلف نفرتيس .

إلا أن هزيمة الفرس الحـقـيـقـيـة جاءت على يد نخت بنفى مؤسس الأسـرة الثلاثين والذى استطاع أن يقـهـر الفرس ويعيدهم الى بلادهم .

ولكن بقيت مصر مطمعا دائما للفرس الذين عادوا الى غزوها بقيادة القائد الفارس أرتكزر كسيس الثالث والذى أشاع الرعب فى الربوع المصرية . وأرتكزر هذا هو أول ملوك الأسرة الحادية والثلاثين (٣٤١ ـ ٣٢٢ ق.م) .

خلف دارا قمبيز بعد وفاته .. وهو أحد أمراء البيت الأخـمـيني والى دارا هذا يعـود الفـضـل فى بقـاء الأمبراطورية الفارسية المتماسكة .. ففى السنتين الأوليين من حكمه ، كثرت الفتن ضده وشقت ميديا عصا الطاعة مؤملة عـودة أمبـراطوريتـهـا القـديمة ، كـمـا أن الفـرس أنفسهم ثاروا على دارا زاعمين أن بارديا حـفـيد قورش

مـازال حـيـا وهـو الأولى بالعـرش .. وبـين هذا وذاك ثارت بابل وأرمـينيـا مطالبـتين بالاسـتـقلال من الأمـبـراطورية الفـارسـيـة ولكن دارا وبمسـاعدة بـعض قـواده المخلصين استطاع أن يقضى على كل هذه الفتن وأن يؤدب العصاة المتمردين .. وكان من أولى أهتمامات دارا أن يبذل ما في وسعـه لترضـيـة المصـريين بعد ما ثاروا عـلى جـيـوش قمبيـز أكـثر من مرة ، فـاتخـذ لنفسـه ألقـاب الفـراعنة ومظاهر عظمـتـهم ، وحـرص على القـيام بكافـة طقـوسـهم الدينيـة ، ثم عـمـر المعـابد التى خـربت بمعرفـة أسلافـه ، وأقام هياكل جديدة .. ولم تحل سنة ٥١٧ ق.م حتى كان دارا هو العاهل العظيم المعترف به غير منازع فى العالم المتحضر وقتنذ في آسيا وأفريقيا ولم يخرج من نطاق أمـبـراطوريتـه سـوى قـرطاجنة .. بلغت الأمـبـراطورية الفارسية أوج العظمة فى عـهد دارا الأول ، كما بلغ تدبير أمـور الدولة أسـمى منزلة وكـان مـن أثر ذلك أن اتسـعت أملاك الامبراطورية الفارسية فى عـهده ، فامتدت شرقا إلى الأراضـى الجـبليـة قـرب نهـر السند ، وغـربا إلى مقدونيا وجزر اليونان . وكان دارا نفسه يتصف بفضائل إنسانية عديدة ، ومزايا إدراية جليلة بالرغم مما أشتهر

به من الجبروت ضد من يتحدون سلطانه ، فإليه يعزى الأصلاح الادارى الكبير ، وإنشاء نظام البريد ، وإصدار عملة موحدة ، وإنشاء أسطول قوى .

ومن أهم أعمال دارا فى مصر إنشاء قناة تصل بين البحر الأبيض والبحر المتوسط وهى قناة تشبه قناة السويس وكان ذلك فى عهد الفرعون نكاو ، كانت هذه القناة تخرج من البحر الأحمر بالقرب من تل بسطا إلى بحيرة التمساح ثم إلى البحر الأبيض وقد بدأ الحفر فى هذه القناة عند زيارة دارا لمصر عام ٥١٨ ق.م .

وفى عام ٤٨٦ ق.م خلف إكزركسيس والده دارا ملكا على الفرس وأخذ يقوم باستعدادات هائلة لغزو بلاد الأغريق مرة أخرى ، وكان والده قد حاول ذلك من قبل (عام ٤٩٢ ق.م) وفشل فى إخضاع بلاد الاغريق المتحضرة أما أكزركسيس فقد بدأ هجومه على بلاد الإغريق عام ٤٨٠ ق.م ، حاشدا فى ذلك جيشا هائلا يقول هيرودوت إن الجيش البرى وحده بلغ مقداره ١.٧٠٠.٠٠٠ رجل وهو عدد مبالغ فيه ولاشك ، ولكن

المؤكد أن الجيش الفارسي كان جيشا ضخما .

سـارت الأمـور على مـا يرام بالنسـبـة للجـيش الفـارسـي في بادئ الأمـر .. واسـتطاع الفـرس إحـراز بعض الانتـصـارات ولكن في النهـاية تحـقق النصـر للأغـريق الذين زادوا عن بلادهـم بكل شـجـاعـة وهمـة منقـذين أنفسـهم من العـبودية للأمـبـراطورية الفـارسـية الجبارة .

ومات إكـززكسـيس عـام ٤٢٤ ق.م في نفس يوم وفاة زوجتـه ، وتولى ابنهمـا أكسـركسـيس الثانـي الحكم لمدة أربعين يوما ، ثم قتله أخ غير شـقيق يدعي سكايدانيوس وهو ابن إكـززكسـيس من عـشيقـه بابلية ، وما كاد هذا الأخ غير الشقيق يستولى على العرش حتى قام أوخوس وهو ابن ثالث لإكـززكـسـيس بثـورة في بابل ، ثم أعلن نفسـه ملكا عليـها عـام ٤٢٣ ق.م وأطلق على نفسـه اسم دارا الثاني وكان أول عمل يقوم به هـو تطهير القصر من الخـونة وأعدم سكايدانيوس وكل من أشترك مـعه في قتل أكسركسيس الثاني .

تولى أرسـامس الحكم من بعـده وعرف بأسم منيمون

وكان ضعيفا تحكم تصرفاته أوامر والدته ونزوات زوجته ثم جاء ابنه أوخوس (٣٥٨ ـ ٣٣٨ ق.م) من بعده ، وقد حاول هذا الأمبراطور اعادة مجد الأمبراطورية ، وحارب سوريا وفلسطين واستطاع إخضاع مصر التى كانت قد استقلت من قبل ، ثم اتجه إلى أسيا الصغرى ولم يعيقه من التقدم فيها سوى الظهور المفاجئ لملكة مقدونيا الغنية ، كان الأمل جد معقود على هذا الأمبراطور لتقوية مركز الأمبراطورية وتدعيم قوتها فى المجتمع الدولى لولا أن أحد الدهاة وهو (باجواس) دس السم له وقتله ، واستطاع أن يضع أرسيس (ابن أرخوس) على العرش .. ثم انقلب عليه وتآمر حتى قتل أرسيس هو وعائلته ، وعرض باجواس الذى أصبح صانع الملوك العرش على دارا حفيد أخ إكزركسيس الأول وهو الشخص الوحيد فى البيت الأخمينى الذى له أحقية العرش وتسمى هذا الأمبراطور بأسمه دارا الثالث (٣٣٦ ـ ٣٣٠ ق.م) وكان شجاعا نجح فى أخضاع مصر ولكنه كان سئ الحظ ففى عصره اغتيل فيليب المقدونى ملك مقدونيا وتولى العرش ابنه الأسكندر الأكبر الذى استطاع القضاء على الجيوش الفارسية في معركة

نهر جرانيكوس عام ٣٣٤ ق.م .. وفى السنة التالية ٣٣٣ تقابلت جيوش دارا الثالث مع جيوش الأسكندر فى أسوس . وهزمه الإسكندر ، ففر دارا الثالث تاركا أهل بيته .

انقضت بذلك فتره حكم البيت الأخميني وطوت الأمبراطورية الفارسية صفحة زاخرة من صفحات تاريخها الطويل والقديم بل والضارب فى القدمْ ، فقد شكل ظهور الإسكندر على ساحة العالم نقطه تحول كبيره فى تاريخ معظم الأمم .

وقبل أن نستكمل بقية الأحداث فيما يخص الأمبراطورية الفارسية نتوقف قليلا لسرد أحوال الدولة والشعب خلال فترة حكم الأسرة الاخمينية .. فكل عصر وله ما يميزه ويفصل عن بقيه العصور .

* * *

الحروب الفارسية

فى أواسط القــــرن الخـــــامس ق.م .. دون المؤرخ الإغريقى هيرودوت تاريخه المشهور وتروى أكثر صفحاته إثارة وإلهاما قصة تبين كيف قاوم الإغريق الغزوات الفارسية التى وقعت منذ جيل سابق (عن كتابه) ويذكر هيرودوت فى سياق قصته كيف أن إغريقيا فى المنفى حذر الملك الفارسى اكزركسيس من أن الأسبرطيين سوف يقاومون جيوشه الجرارة قائلا :

" إنهم لن يقبلوا شروطك التى سوف تؤدى ببلاد الاغريق الى العبودية .. ومع أنهم رجال أحرار إلا أنهم ليسوا أحرارا كل الحرية فإن القانون هو السيد الذى يعترفون به ويدنيون له وهم يخافونه (القانون) أكثر مما يخافك رعاياك ، ومهما يأمرهم به فهم ملبون أوامره دائما فهو ينهاهم عن الفرار من المعركة مهما تكن كثرة أعدائهم ويطالبهم بالصمود والثبات فإما أن ينتصروا وإما أن يموتوا .. "

ما كان من إكزركسيس إلا أن تلقى هذا الكلام بعدم أكتراث وربما ضحك منه .. وعندما أخذ فى الزحف على بلاد الآغريق وفد عليه جاسوس من الفرس يصف له قوة صغيرة من الأسبرطيين رآها تمشط شعورها الطويلة وتؤدى تمرينات رياضية فى ممر ثرموبيلاى .. كان وصف الجاسوس الفارسى للقوة الأسبرطية مدعاة مرة أخرى لسخرية الامبراطور الفارسى اكزرسيس .. ولكن الأقدار كانت قد دبرت أمرا مخالفا تماما لما أعتقده أكزرسيس الساخر !

لكن أطمـاع الفـرس فى بلاد الأغـريق لم يبـدأها أكزرسيس .. بل كان والده داريوس (دارا الأول) الذى أرتقى العرش عام ٤٩٢ كان يأمل فى غزو بلاد الإغريق غزوا نهائيا (كانت محاولات أخرى جرت من قبل لاحتلال اليونان والجزر الإغريقية) .. فسير جيشا الى طراقيا ووجه أسطولا يشق بحر ايجه ولكن الأسطول أصيب بدمار شديد بسبب زوبعة عاتية .. أما الجيش فقدمنى بخسائر فادحة على أيدى إحدى عشائر طراقيا ولم يفلح كلا من الأسطول والجيش فى الوصول الى الجزء الرئيسى من بلاد الأغريق .

لم يضع داريوس وقتا فى الإعداد لمواصلة الزحف إلى بلاد الإغريق ففى عام ٤٩٠ أى بعد عامين كانت حملة جديدة على تمام الاستعداد وقد عبرت هذه الحملة بحر إيجه فى أسطول قوامه ٦٠٠ سفينة وتساقطت الجزر والمدن أمام الحملة ولم تبد معظم المدن الأغريقية أية محاولة للقتال .

وكانت أعظم مدينتين فى بلاد الإغريق هما أثينه وأسبرطه وجنود هذه الأخيرة كانوا من أعظم جنود الأغريق .. وكانت آثينة أيضا منيعه بحكم موقعها الذى وفر لها حماية مناسبة برا وبحرا .. ولكن مواطنى أثينا كانوا منعمين مرفهين بالقياس الى الاسبرطيين الاكثر جدية وخشونة .

كان الفرس قد أعدوا العدة لغزو آثينا معتمدين فى ذلك على مجموعة من الخونة الذين يعملون معهم فى المدينة وبهذا يوقعون الفرقة والانقسام فى صفوف الإغريق .

ثم نزل البحر فى أتيكا عن طريق البحر فلم يزحف للقائهم سوى الأيثنيين وأهل جزر أخرى هم

البلاتيين . وعسكر هؤلاء فى سهل ماراثون الذى يبعد نحــو ٥٠ كم من اثينا .. والواقع أن الآثنيين حــاولوا أن يجندوا أسبرطة الى جانبهم فأوفدوا عداء مشهورا هو " فيدبيديس " الى اسبرطة طلبا للمساعدة . وكان عدوه الذى قارب ٢٤٤ كم فى ليلة ونهار هو الذى زودنا بكلمة ماراثون التى صارت علما على الجرى أو المشى لمسافة طويلة غير عادية .

لكن الأسبرطيين ـ وبمقتضى قانونهم ـ كان عليهم ان ينتظروا أكتمال البدر قبل أن يتهيأوا للزحف وقد وصلوا الى أتيكا بعد فوات آوان المعركة . وهكذا قاتل الأيثنيون وحدهم ولا مساعد لهم الا البلاتين كما أوضحنا .

اختلف الأيثنيون فيما بينهم فى كيفية مواجهة الفرس . فقد كان الجيش الفارسى يفوقهم عددا وعتادا .. ولكن أحد قادة الآثنيين المتحمسين ويدعى ملتياديس اقنع جيشه بالمقاومة ، وعمد إلى ترتيب جيشه ووضع خطة حربية مبتكرة .. فجعل لجيشه قلبا ضعيفا وجناحين قويين . فأخترق الفرس قلب جيشه بسهولة ولكن

الجناحين القويين اطبقا على فلول الفرس وألحقا بهم هزائم ساحقة .. هرب الفرس ولاذوا بسفنهم هروبا من المصير المحتوم .. وفكروا وهم فى البحر فى دخول أثينا ولكنهم فوجئوا بجيشها وقد سبقهم إليها فأنصرفوا عائدين الى بلادهم .

تعلم الفرس من كارثة ماراثون أنه ليس من السهل هزيمة الإغريق ومع ذلك فقد عصى على فهمهم تبرير هزيمتهم أمام الأثينيين .. لأن بلاد الأغريق لم تكن متحدة أبدا فقد كانت تتألف من عشرات الدويلات المستقلة .. كل منها غيورة على حريتها الفردية . غير أن الإغريق كانوا يتآلفون بصورة سريعة وفعالة إذا ما تعرضوا لما يمكن أن يهدد حريتهم الفردية أو الجماعية وعندما خلف آكزركسيس والده داريوس بدأ على الفور فى الاستعداد لغزو بلاد الأغريق من جديد . فأقام لهذا الغرض جسرا على مضيق الدردنيل لكى يجعل من عبور جيشه الكبير أمرا سهلا ولكن مرة أخرى قامت عاصفة كبيرة بتحطيمه كما حطمت أسطول جيش والده من قبل .

صب أكزرسيس جام غضبه على البحر فعاقب مياهه بثلاثمائه جلدة ! وألقى فيه بزوج من الأغلال !! .. ثم أمر ببناء جسر من القوارب فبنى له مهندسوه جسرين أحدهما مؤلف من ٣٦٠ سفينة مشدودة بعضها الى البعض ، والثانى من ٣١٤ سفينة وقد وضعت فيها المراسى على نحو بارع كى تقاوم الرياح وتيارات الماء ومدت فوقها العوارض الخشبية وحشيت فجوات العوارض بالأغصان وعلى هذه الصورة أقيم جسر يستطيع بأسره أن يتحرك عبره .

وفى عام ٤٨١ قرر أكزركسيس القيام بالهجوم وفى عام ٤٨٠ بدأ غزو بلاد الإغريق .

لم يشهد الإغريق جيشا بهذه القوة من قبل فقد قارب جيش الفرس المليون مقاتل واختلف الأغريق فى كيفية مواجهة هذه القوة الساحقة .. ورأى ملك الأسبرطيين (ليونيداس) ان يدافع عن ممر ثرموبيلاى وهو ممر قائم بين الجبال والبحر ولابد لأى جيش زاحف إلى الشاطئ أن يمر منه وقد حاول الفرس عبور هذا الممر ولكنهم فشلوا دائما لتحصن الأسبرطيون فيه .

لكن خـائنا إغـريقـيـا يدعـى افــيـالتـيس ذهـب الى اكـزركـسـيس وتطوع أن يرشـده إلى ممر بين الجـبـال يسـتطيع جنوده أن يبـاغـتـوا الإغـريق من الخلف بعـد عبوره . وبالفعل أرسل أكزركسـيس مجموعـة قوية من جنوده ليلا .. وعبر هذا الممر الذى أرشدهم إليه الخائن ، استطاع الفرس مباغته الأسبرطيين من الخلف .. يشـهد التـاريخ فـى مـعـركـة ثرمـوبيـلاى هـذه بشـجـاعـة وقـوة الأسـبـرطيين الذين ظلوا يدافـعـون عن مـوقـعـهم بقـيـادة ملكهم ليونيداس حتى فنى آخر رجل فيهم .

عـبـر الفـرس ممر ثرمـوبيـلاى وغـزوا إقليم أتيكا ثم دخلوا أثينا وخـربوها وأندفـعـوا نحـو بقـيـة الجـزر الاغريقية .

لكن الإغريق بعد أن أستشاروا كهنة معبد دلفى أعدوا العدة من جديد لمواجهة الفرس بأسطول قوى عليه بحارة مـهرة أستطاعوا سـحق الفـرس الأكثـر عـددا وتدمـيـر الأسطول الفـارسى فقـرر أكزركسـيس الانسحـاب وترك قـائده مـاردونيـوس لمواصلة الخطة الموضـوعـة لغـزو بلاد الاغـريق كـان نصـر الأغـريق فى (سـلامـيس) على

الأسطول الفارسى سببا مباشرا مما شد أزر بقية المدن الإغريقية فاتحدوا جميعا وواجهوا ماردونيوس فى معركة حامية الوطيس عام ٤٧٩ ق.م ومنى الجيش الفارسى بهزيمة أخرى ليتخلى الفرس مؤقتا عن فكرتهم فى غزو بلاد الأغريق .. ولينعم الأغريق بدورهم بالحرية التى كانوا يرون فيها أكثر عطايا الالهة قيمة وقدرا .

* * *

ملامح الحياة فى الأمبراطورية الفارسية

الدولة

كانت الأمبواطورية الفارسية الأخمينية تمتد من الهند حتى البسفور شمالا ووادى النيل جنوبا ، ولما كان الفرس (كعنصر) أقلية ، كما أنهم كانوا أصحاب حضارة حديثة نسبيا بالنظر الى حضارات مصر والهند العريقة مثلا ، فقد رأى القائمون على أمبراطورية فارس أنه من الأفضل أن يحتفظ كل أقليم بخصائصه الذاتيه من عادات وتقاليد ونظم حكم وقوانين وديانة الخ ... على أن يعين على كل أقليم واليا فارسيا ، وقد قسمت الأمبراطورية كلها إلى عشرين ولاية أو (ستراببة) وكلمة ستراببه تعنى الولاية أو الدويلة وكان من أهم الولايات الفارسية مصر وفارس والهند وبابل وآشور وفلسيطن وسوريا وآسيا الصغرى وإلى دارا الأول يعزو الفضل فى تقسيم الأمبراطورية كلها إلى ستراببيات وبجانب كل ستراب (حاكم) عين دارا وقائدا عسكريا

يكون مسئولا أمام الأمبراطور مسئولية كاملة .. كما عين دارا موظفا ملكيا يكون هو المسئول عن جمع الضرائب المفروضة على كل ستراتبية .

وكنوع من الرقابة المركزية عين دارا إلى جانب كل وال أو ستراب سكرتيرا يشرف على تحركات الوالى ويقوم بمهمة ضابط الأتصال بينه وبين الحكومة المركزية .. والاكثر من ذلك كان هناك مفتشين يتمتعون بصلاحيات عالية يقومون بحملات تفتيشية مفاجأة للتأكد من صحة الأعمال وسير الأمور فى الستراتبيات والى دارا أيضا يعود الفضل فى إنشاء شبكة كبيرة من الطرق لربط أنحاء الأمبراطورية من الناحية الأدارية والعسكرية كما كان لهذه الطرق أثرا هائلا قى تقدم حركة التجارة وإزدهارالنشاط الاقتصادى الى حد كبير ، ومازالت آثار بعض هذه الطرق باقية حتى الآن .

وعرفت الأمبراطورية تبعا لذلك نظام البريد والاتصال مما سهل إلى حد كبير حركة التخاطب والأشراف بين كل ممالك الأمبراطورية .

والى دارا أيضا يعود الفضل فى إنشاء عملة موحدة للأمبراطورية ، والواقع أن الليديين من قبله أخترعوا النقود إلا أن دارا هو أول من أسس اقتصاد أمبراطورية على أساس نقدى بديلا عن المقايضة .

وكانت الكتابة المسمارية هى المستعملة فى النقوش الملكية كما كانت اللغة الأرامية هى اللغة الرسمية للامبراطورية الفارسية الأخمينية .

والجزية التى فرضتها الأمبراطورية على ولاياتها كانت باهظة ولكنها منظمة فلا جزية الا بقانون أو مرسوم ملكى وهو مايتوافق مع أرقى النظم الاقتصادية وكان مجموع الجزية السنوية ١٤٥٠٠ رطل من الفضة (الرطل ما يساوى نصف كيلو جرام تقريبا) وكانت ولاية الهند الثرية تدفع ما يساوى تقريبا ثلث الجزية العامة ، تليها بلاد العراق (بابل وآشور) ، وكان نصيب مصر ٧٠٠ وزنة فضة ، .. هذا من الجزية النقدية أما عن الجزية العينية .. فكان على بلاد أرمنية مثلا دفع ٢٠٠٠٠ من الطيور ، وكانت سترابية بابل وآشور تدفع ٥٠٠ فتى لجعلهم أغاوات (خصى) بالأضافة إلى مواد تموينية

للقصر تكفيه أربع أشهر فى السنة .. وكانت أثيوبيا تدفع كميات من الذهب الخام و٢٠٠ كتلة أبنوس وخمسة أولاد وعشرين ناب فيل .. كانت هذه الجزية تمثل عبثا ثقيلا على الولايات التى كانت مجبرة على تقديم خيراتها وثروتها وبناتها وأبنائها إلى الأمبراطور .. مما جعلها فى حالة ثورة دائمة وكان من الطبيعى عندما جاء الإسكندر الأكبر فاتحا لهذه الدويلات أن يجد الترحاب والعرفان من سكان تلك الولايات الذين عانوا كثيرا من قسوة الفرس .

الجيش

لم يكن الجيش الفارسى من عناصر فارسية خالصة ، بل إنه اعتمد فى المقام الأول على عناصر غير فارسية .. أو من عناصر فارسية غير أخمينية .. فقد كان فى الجيش فرق من اليونان والسوريين ، وقبائل من الخليج العربى وفرق من بدو الصحراء وإن كان هناك فضل يذكر للعقلية العسكرية الفارسية فإنما هو القدره على تنظيم تلك الصفوف من المرتزقة والأجانب واحراز بعض

الانتصارات بهم .. ولكن عدم الولاء .. والسخرة والجبر كانت سببا فى هزائم متكررة ذاقها الفرس مثل هزيمتهم أمام بلاد الأغريق .. ومصر .. ثم اندحارهم التام على يد الأسكندر المقدونى .

الديانة

مثلهم مثل كافة الشعوب القديمة ، عبد الفرس آلهة شتى ، وجعلوا للطبيعة الهة ذات اختصاص .. متميزا هى الشمس ، والقمر ماه والأرض زام والنار أذر ولكنهم مع ذلك عبدو الأله العظيم رب الأرباب أهورا مازدا خالق السموات والأرض وجالب النعم ومحقق أنتصارات الأباطرة وأمجادهم . والداعى إلى عبادة أهورا مازدا هو زرادشت أو زادشترا المصلح الدينى الكبير وصاحب الديانة الزرادشتية السائدة فى الفرس ويختلف المؤرخين فى توقيت ظهور زرادشت ودعوته .. فمنهم من يرى ظهوره قبل تأسيس الأمبراطورية الأخمينية ، ومنهم من يرى ظهوره بعدها فى فترة ما قبل دارا الأول .. وأيا كان تاريخ ظهوره ودعوته ، فقد جاءت ديانته الجديدة

تنصح الناس بأتبـا ع الخـير ونبـذ الشـر .. الخـير الذى يمثله أهورا مـازدا ، والشـر الذى يمثله أهـريمن .. همـا الله والشيطان كما يتصوره الزرادشتيون .

أمــا الـكهنة فـقــد كــان يطلق عليــهم اسم الماجى "المحويس" ومنهم أشتقت كلمة السحر Magic فى اللغة الأنجليـزية وعلى هؤلاء كـانت تقع مـهمة أقـامـة الطـقوس الدينيـة وتقديم الأضـاحـى والقـرابـين وتتـويج الملك وتعليم الشبـاب وكـان للمـاجى هؤلاء طقوس خاصـة بهم تخـتلف عن طقوس العوام من الفرس ، فمن ذلك مثلا أن الفرس أعـتـادوا ودفن جـثث مـوتاهـم ، أمـا المـاجى فـقـد كـانوا يتـركـون جـثث مـوتاهـم كـي تلتـهمـهـا الوحـوش وجـوارح الطير .

وكان للفرس معابد للنار يعبد فيها أزار إله النار التى اعتبرها الفرس أقوى عناصر الطبيعة والتى تلتهم وتطهر كل شئ .. فهى أولى بالعبادة وقد بنى كورش أحد هذه المعابد ، وبنى دارا معبدا ثانيا أمام مقبرته ، واقام أكزركسيس الاول معبدا ضخما ، وكان المعبد عباره عن برج يحتوى على غرفة واحدة يؤدى إليها سلم حيث يقوم

الماجى (الكاهن) بتغذية النار المقدسة والتى يجب أن تبقى مشتعلة للأبد !

والجدير بالذكر أن عبادة أهورا مازدا الاله الأعظم لا تتعارض مع عبادة أرباب أخرى فهو رب الأرباب وكل عبادة موجهة إليه أولا وأخيرا .

الفن

جاء الفن الفارسى الأخمينى تشكيلا مركبا من فنون سائر الأمم والشعوب التى تسنى للأمبراطورية الفارسية ضمها إليها وأخضاعها لسلطانها ولكن مع مرور الأيام .. ظهر من بين الفرس أنفسهم فنانون مبدعون ومعماريون أفذاذ أضافوا لمساتهم الساحرة فى شتى مجالات الفن ولكن تبقى العماره والبناء فنا فارسيا متميزا والقصور الفارسية هى خير شاهد على ذلك فالأطلال الباقية من قصور بلاد الفرس القديمة تذكرنا بالأمجاد التى غبرت واندثرت .. فعلى سبيل المثال .. هناك قصر سوسة الذى كان يمتلكه الزركسيس ملك الفرس (٤٨٦ ـ ٤٦٥ ق.م) والذى جاء وصفه فى العهد

القديم سفر إستر .. وكان بداية بناء هذا القصر فى عهد الملك دارا الأول والد الملك إكزركسيس .. لم يتبق من هذا القصر اليوم الا الركام .. ولكن اليك وصفه .

استخدم دارا فى تشييد هذا القصر أمهر الصناع من مصر وبلاد الإغريق وليديا (جزء من تركيا الآن) وبابل وجئ لهذا الغرض بخشب الأرز والعاج من الهند والحبشة ، والفضة والنحاس من مصر ، وأقيم القصر حول ثلاثة أفنية مركزية فتحت عليها غرف وإبهاء من أحجام متفاوتة مزدانه بالتماثيل الحجرية وألواح من الآجر المزجج بألوان زاهية وقد وصف أحد ملوك الإغريق مدينة سوسة تحت الحكم الفارسى فقال " إنها المدينة التي فيها مقام الملك الأعظم وفيها يودع المال فى خزائن ومن يستولى على المدينة يحق له أن يتحدى الاله زيوس * ذاته في مجال الثراء .. "

وقد زحف الإسكندر الأكبر على مدينة سوسة بعد انتصاره على الفرس فى أربيلا عام ٣٣١ ق.م فاستولى على الكنوز الطائلة في المدينة من الذهب والفضة

* زيوس هو كبير آلهة الأغريق والرومان

والمجوهرات والمنسوجات المشغولة واحتاج إلى عشرة الأف جمل وعشرين "ألف بغل لنقل جزء صغير من ثروة مدينة سوسة ومنها تمثالا من البرونز كان الملك إكزركسبيس قد استولى عليهما من أثينا فأعادهما الإسكندر

ومن السمات المثيرة للإعجاب الشديد فى فن البناء الفارسى استخدام الأعمدة المرمرية الموفورة الزخارف ، وهذه الأعمدة كانت فى الغالب محززة ومنحوته بإتقان تزدان قواعدها وتتجانها بالزهور ، وتدعم أعاليها بحيوانات مشكلة ولايزال بهو المائة عمود فى مدينة برسيبوليس الذى تبلغ مساحته ٢٢٥ قدما مربعة يرتفع من مسطحه وكأنه غابة من أعمدة مرمرية وإن كان سقفه وجدرانه قد تلاشت منذ عهد بعيد وظاهرة كثرة الأعمدة فى البنايات الفارسية أصبحت سمة مميزة لفن المعمار الفارسى ولاشك أن تأثرهم بالقصور والمعابد والبنايات المصرية القديمة واضح بالنسبة لهذا الاتجاه ، ولكن شتان ما بين الأعمدة المصرية والفارسية . فالأولى لها فضل البداية والأبتكار ..أما الثانية فهى تقليد واقتباس ، يتجلى ذلك فى نقل الفرس الكثير من النقوش والزخارف

الفرعونية فى أعمدتهم .

وكانت مقابر الفرس ذات لمحة فنية خاصة أيضا وهناك من الآثار الباقية ما يدل على عناية الفرس الفائقة بمقابر أباطرتهم وملوكهم .. مثال ذلك قبر قورش فى مدينة بزرجادة وهو عبارة عن بناء مستطيل يشبه التابوت وله باب واحد من أحد جانبيه يؤدى الى داخل التابوت وقد وضع هذا التابوت على قاعدة هرمية مدرجة .

وبرع الفرس أيضا فى فن صياغة الحلى الذهبية والأحجار النفيسة وأن كان تأثير الفن المصرى القديم فى هذا المجال واضحا أيضا .

* * *

الفصل الثانى

انهيار الأمبراطورية

فى عام ٣٥٩ ق.م أصبح فيليب ملكا على مقدونيا وكان أهالى هذا البلد الصغير الواقع فى شمال اليونان بدائيين ، جهلة بالقياس إلى أهل أثينا ، غير أنهم كانوا مقاتلين يمتازون بالخشونة والعنف ولقد جعل فيليب جيشه أحسن القوات المقاتلة فى ذلك العصر ، وحمل الولايات اليونانية على أن تقبله حاكما ، وكانت أثينا وأسبرطه قد نال منهما التعب والإجهاد نتيجه لحروبهما الطويلة على بعضهما البعض مما لم يمكنها من الأتحاد ضد مقدونيا ، وكان فيليب يخطط لغزو الأمبراطورية الفارسية العظيمة وهى العدو القديم لليونان ولكنه قتل فى سنة ٣٣٦ ق.م نتيجة لمؤامرة حيكت ضده ، وأصبح ابنه الاسكندر ملكا وهو فى سن العشرين .

كان الإسكندر قد تلقى تعليما عسكريا متميزا من أبيه فيليب ، وتعليما أخلاقيا وفلسفيا على يد الفيلسوف الكبير أرسطو طاليس الذى علمه كيف يفكر وكيف يصبح حكيما !! ولاشك أن دراسته العسكرية والفلسفية قد ساعدت فى تكوين شخصيته التى تبقى دائما محل اعجاب العلم وتقديره الى اليوم .

تمكن الإسكندر من القضاء على كل الفتن الداخلية التى أعقبت وفاة والده . وانصرف لاستكمال وتحقيق رغبة والده فى غزو بلاد الفرس .. وكانت الأمبراطورية الفارسية فى ذلك الوقت غاية فى القوة والفخامة يحكمها داريوس الثالث (دارا الثالث) وفى ربيع عام ٣٣٤ ق.م عبر الاسكندر سلسلة الجبال الرهيبة فى طريقه الى آسيا .

وقد كان فى أستطاعة الفرس أن يعدوا لقتال ذلك الغازى الجرئ مليون رجل أو أكثر ولكن جيوشهم كان يعوزها التدريب ، وتعوزها فوق ذلك القيادة الحكيمة التى توافرت للمقدونيين وكان الإسكندر متخصصا فى فنون الحرب ، كما كان شجاعا لا يهاب المعارك ، وفى ظل

قيادته أثبتت فيالق المقدونيين وحشود المشاة وهم يحملون حرابهم أنهم مقاتلون لا يقهرون وقد أسفرت المعركة الأولى التى جرت عند نهر جرانيكوس عن انتصار كامل للإسكندر الذى قاد حركة هجومية عابرا مياة النهر على ظهر جواده المسمى بوسيفالاس .

وجرت المعركة الثانية فى إسوس عام ٣٣٣ ق.م انتهت بهزيمة كاملة للفرس وهرب دارا الثالث وترك أفراد أسرته الذين لقوا من الإسكندر معاملة كريمة .

وكان على الإسكندر أن يحطم القوة البحرية الفارسية قبل أن يخلو السبيل الآمن له لمواصلة الزحف فى آسيا ، ولقد حاصر الميناء البحرى الكبير (صور) التى سقطت بعد سبعة أشهر وتلتها غزه التى استطاع الاستيلاء عليها .

ودخل مصر وكانت تحت الحكم الفارسى لمدة ٢٠٠ سنة وخرج كثير من المصريين يستقبلونه بالحفاوة والترحيب بوصفه منقذا لهم من المستعمرين ، وعند مصب نهر النيل أسس الإسكندرية التى أشتهرت كمركز للحركة العلمية والفكرية بفضل مكتبتها العظيمة كما

اشتهرت كميناء بحرى وأرسل كذلك حملة إلى أثيوبيا لاكتشاف منابع النيل وزار المعبد الصحراوى لآمون حيث احتفى به الرهبان .

وفى السنة التالية ٣٣١ ق.م استمر فى غزوه لبلاد فارس ، حيث التقى الجيشان عند جو جاميلا بالقرب من أربلا (وهى إربل الحالية فى العراق) .. وحشد دارا الثالث جيشا ضخما يزيد عدده على المليون ، وكان من بين عتاده عربات حربية ألحقت بعجلاتها مناجل حادة ، وتقدر جملة قوات الإسكندر بنحو ٧٠٠٠ من الفرسان و٤٠ ألفا من المشاة ، لم يستطع الفرس أن يصمدوا أمام هجمات المقدونيين ومرة أخرى لاذ دارا الثالث بالفرار تاركا جنوده يقاتلون فى بسالة ولكن على غير جدوى ، وقد عثر عليه مقتولا بأيدى ضباطه .

أصبح الإسكندر ملكا على مقدونيا واليونان ومصر ، وبلاد فارس وآسيا ، وظل جيشه لمدة ست سنوات يواصل زحفه مكتشفا وفاتحا قبل أن يأخذ طريق عودته الى بلاده ، إن المسافات التى قطعها الإسكندر ، تثير الدهشة وخاصة فى عصر لم تكن فيه خرائط ، فمن

عاصمة فارس (برسيبوليس) إلى بحر قزوين .. ثم إلى أفغانستان وسط اسيا ، ثم فى اتجاه الشرق الجنوبى إلى ممر خيبر فى الهند .

وقد تغيرت طريقة حياة الإسكندر فى أثناء هذه السنين التى أمضاها فى آسيا فبدأ يتصرف باستبداد ، وتزوج من أميرة ثرية جميلة هى روكسانا ، وكان زواجه سعيدا ، ومهما يكن من شئ فقد غاب لمعان شبابه ، وجعلته شكوكه السوداء فى الخيانة والمؤامرة ينقلب على أصدقائه الأوفياء .

كان جيشه قد قطع مسافة ١٧٦٠٠ كيلو متر لمدة ثمانى سنوات متصله لم يروا فيها بيوتهم وأسرهم .. الأمر الذى جعلهم يرفضون التحرك نحو المزيد من البلاد ولم ينجح الإسكندر باقناعهم فى التحرك خطوة واحدة بعد ذلك .

وساءت صحة الإسكندر وإن يكن مازال شابا يتمتع بعقل حاد نشيط وخيال خصب جامح . وكان يفكر ويخطط لغزوات أخرى فى الجزيرة العربية ولكن أصابته الحمى وكان ذلك فى يونيو سنة ٣٢٣ ق.م . ولما رقد

رقدته الأخيرة ليستقبل الموت ، مر به جنوده وقد انخلعت قلوبهم فى هيئة طابور يلقون عليه نظرة الوداع . كان عمره حين مات اثنين وثلاثين عاما .. ولكنه كان أعظم جندى عرفه التاريخ .

بعد وفاة الإسكندر استطاع ثلاثة من قواده تقسيم أمبراطوريتة الواسعة فيما بينهم ، والواقع أن روكسانا زوجة الأسكندر قد وضعت طفلا بعد أشهر قليلة من وفاته ، وكان هذا الطفل هو الأجدر بتولى عرش والده ، ولكن روكسانا قتلت هى وابنها وريث العرش .. وأصبحت الأمبراطورية مطمعا للطامعين .

كان أحد القادة الثلاثة الذين أقتسموا الأمبراطورية فيما بينهم بطليموس الذى استولى على مصر واحتفظ بها ، وسلوقس الذى اختار آسيا الصغرى وبلاد الشام والعراق وإيران ، أما أنتيجوس فقد اختار بلاد اليونان .

وما يهمنا فى هذا المقام مافعله سلوقس ، حيث قسم امبراطوريته إلى قسمين .. قسم شرقى وشيد له عاصمة جديدة فى سلوقية على دجلة فى العراق ، والقسم الغربى

وأسس له العـاصـمـة أنطاكـيـة على نهـر العـاص . وعين سلوقس أبنه أنطيوخس الاول حاكما على القسم الشرقى عن مملكته .. توالى على العرش السلوقى ملوكا ضعافا . أخذت أجـزاء الأمبراطورية فـى الانفصـال تدريجيا وكـان أول ما أستقل من هذه الأجزاء بلاد فارس .. ثم أنسلخت مملكة بـاكثريا التـى أسـسـهـا الأغريق شـرقى بلاد إيران (وهـى تشـمـل أفـغـانسـتـان الحـالـيـة) ثم أسـتقلت بارثـيا (الواقــعــة بـين مملكة السـلوقين غـربا ومملكة بـاكـثـريا شـرقـا . وخلفت بـارثـيا الأمـبـراطوريـة الفـارسـيـة القـديمة ويـعـتــبــر أرشك الأول (٢٤٩ ق.م) هـو مـؤسـس مملكة بـارثـيـا .. وواصـل خلفـاؤه مـسـيـرته فـى قـهـر السلوقـيـين ، وعلى عيلام وفارس وأجزاء من باكتريا .

وأهم مـا يمـيـز فـتـرة سـيـادة البـارثـيين هـو نزاعـهـم المستـمـرمـع الرومـان وكـانت نـهـاية هؤلاء على يد الرومـان أنفسـهم .. فقد أضعفت الحروب قوى البارثـيين وأنـهـكتـهـم المناوشات الرومـانية والتى كان اخرها حـرب الملك البارثـى أرطبـان الخـامـس مع الأمبـراطور الرومـانى مكرنيـوس فى بلدة نصيبين والتـى أنتـهت بمعـاهدة صـلـح بين الطرفين .. كانت الأمبراطورية البارثية من الهشاشة حيث لم تستطع

الاستمرار اكثر من سنوات قليلة (من ٢٤٩ ق.م حتى ٢٢٦ ق.م) ثم حل مكانهـا الملوك الســاســانيين الذين أسسوا الامبراطورية الفارسية الساسانية .. الأشهر والأقوى على العصور وتعتبر الفترة البارثية فترة هامة وفـاصلة فى تاريخ فـارس لجملة أسـبـابا ، فـهى التى شاهدت تجمع كل العوامل التى ستشكل مستقبل إيران ، ولكن لسوء الحظ فأن المعلومات التاريخية عن العصر البارثى شحيحة ولا يمكن معرفة الكثير من تفاصيل الحياة فى ذلك العصر الا أنه من الثابت أن الفرس من أهل فـارس وجنوب إيران كـانوا يحـاولون التخلص من السيطرة البارثية .. وبزغ فى تلك الأثناء نجم بابك وابنه أرشـيـر وهو من أسـرة نبيلة من السـاسـانيين (سـلالة سـاســان والذى كــان بدوره يدعى أنه من ســلالة الأخمينيين) وهؤلاء السـاسانييون هم الذين سيتولون زمام الأمور فى الأمبراطورية الفارسية القادمة .

* * *

الساسانيون

كان ساسان مؤسس الاسرة الساسانية كاهنا في معبد الإلهة (أناهيتا) إلهة الخصب . وخلفه من بعده بابك ابنه الذى تزوج من ابنه حاكم الإقليم .. ثم ثار عليه وأغضب منه السلطان وبتولى بابك الحكم (٢٥٨ م) بدأ عهد جديد فى تاريخ الفرس . كان أرطبان الخامس هو ملك البارثيين فى ذلك الوقت ساءه ما فعله بابك ورفض الاعتراف به .. وكان لبابك ابن هو أردشير وهو شاب ذو طموح ، أعلن نفسه ملكا على فارس وقتل جميع إخوته حتى لا ينازعه أحد فى الملك واستطاع بفضل طموحه وشجاعته أن يخضع له أصفهان وكرمان ، وبدأ يتصرف كملك حقيقي ، ولكن أرطبان الخامس قرر أن يضع حدا لمطامع ذلك المدعى .. فاشترك في حروب طويلة ضده ، استطاع أردشير أن ينزل به هزائم ساحقه حتى كانت الموقعة الكبرى فى بلاد السوس عام ٢٢٤ م حين قتل الملك البارثى ووطئ

أردشير بقدمه رأس الملك الأعظم .

أعاد أردشـير توحـيد فـارس وتم تتويـجه امبـراطورا على الأمـبـراطورية الفـارسـيـة الجـديده عـام ٢٢٦ م . وأتخذ لنفسه لقب الشاهنشاه (ملك الملوك) وكان أول ما حـرص عليـه هو الحـصـول على تأييـد الكهنة ولن يكون ذلك الا ببعث دينهم من جديد ، وهكذا سادت الزرادشتيه وأسـتطاع كـهنتـهـا من (الماجى) أن يقـووا من سلطانه أشـتـهـر أردشـيـر بعـدله وقـوته .. وفـى المقـام الاول بالحكمة وهو مـا أوجد له شـعبيـة طاغيـة وشـهره موفـوره فى التـاريخ الفـارسى .. تزوج شـابور من أبنة أرطبان ليدعم مركزه وسار حثيثا فى سبيل توطيد ملكه ومد حدود أمبراطوريته الجديدة فاستطاع الانتصار على الرومان وسحق ملك أرمينيا القوى خسرو الأول ، وغزا بلاد الـهند وفـرض الجـزية على البنجـاب وعند مـوت أردشير عام ٢٤٠ م .. كانت الأمبراطورية الفارسية قد أستعادت معظم أملاكها السابقه عدا مصر وسوريا وآسيا الصغرى .

خلف شـابور الأبن أباه أردشـير والواقع أن أردشـير

قد تنازل له عن الحكم أثناء حياته . ترك أردشير لأبنه مملكة قوية استطاع الابن أن يحافظ عليها بل ويضيف إليها أجزاءً واسعة مثل بلاد الكوشان ووادى السند وحاول استعادة سوريا ولكنه لم يستطع التوغل فيها لقوة الحشود الرومانية فيها .. ولكن شابور (الأول) لم ييأس وواتته الفرصة حين اغتيل جورديان الأمبراطور الرومانى وخلفه من بعده فيليب العربى الذى آثر مهادنة الفرس وعقد معهم صلحا تنازلت بموجبه روما عن بلاد ما بين النهرين وأرمينيا ، وأرتضت أيضا دفع جزية كبيرة .

وحارب شابور الأول روما مرة أخرى .. وأستولى على بعض المدن السورية ومنها أنطاكية وفي معركة كبيرة قرب الرها (أوديبا) تمكن شابور من هزيمة ثالريان الأمبراطور الرومانى (عام ٢٦٠ م) وأسر معه ٧٠.٠٠٠ جنديا رومانيا وقد أدت هذه المعركة (معركة الرها) إلى تدهور القوة الرومانية الى حد كبير كما أستطاع شابور أن يستفيد كل الأستفادة من الأسرى الذين أوقع بهم .. فقد كان منهم أصحاب الحرف والصناع المهرة والمعماريون والمهندسون واستغلهم فى

بناء الجسور وشق الطرق وإقامة المنشآت .

وأثناء عودة شابور وعند مروره بالقرب من تدمر أرسل اليه ملكها أذينة هدايا فرفضها شابور .

وتقع تدمر على رأس مثلث صحراوى ساقاه حدود العراق في الشرق ومشارف الشام فى الغرب ، وقاعدته شمالى جزيرة العرب ، وتبعد مدينة تدمر عن دمشق بحوالى ٢٠٠ كم . وقد أكتسبت تدمر أهمية تجارية بفضل موقعها المتميز ، وطمع الرومان فيها ولكنهم عجزوا عن أخضاعها لهم حتى أستطاع الأمبراطور هارديان (١٣٠ م) أن يضعها تحت الحماية الرومانية فقط .

ونظرا لتوسط تدمر بين دولتى الفرس والرومان فقد أهتم الرومان بها اهتماما كبيرا وحرصوا على مهادنتها خوفا من تحالفها على الفرس ، الا أن حاكم تدمر وهو أذنية بن حيران بن وهب اللات بن نصر حاول التخلص من الحكم الرومانى فتآمر عليه هؤلاء وقتلوه وفرقوا رجاله .. وخلفا أذنية ولدين .. الأكبر هو حيران وهو الذى تولى الحكم بعد أبيه والأخر هم آذنية (نفس أسم أبيه)

وهو الأصـغـر وكـان أذنيـة الصـغـيـر شـديد النـقـمـة على الرومـان لقـتلهم أباه ، فـصـمم على الانتـقـام وهو لا يزال صبيا صغيرا فهجر المدينة ، وسكن الجبال وأجتذب قلوب البدو المقيمين حول تدمر ، وقد أنتهز أذينه فرصة الحروب التي قـامت بين الفرس والرومـان ، وأنتـصـار شـابور على الأمبراطور ڤاليريان ، فأرسل الى شابور كتابا يتقرب به إليـه وبعض الهـدايا ولكن شـابور أسـاء به الظن ورفض طلبه ، وطلب خضوعه وسجوده له ، وغضب أذنية ورجع إلي الرومان وعرض عليهم مساعدته أياهم ضد الفرس ، وسـر الأمـبراطور جـالينوس من أقـتراح أذينة وبعث اليه بقوة صغيرة ضمها أذينة الى رجاله الأقوياء وخرج على الفـرس وهزم شـابور وحـاصـر المدائن واحـتل مـا بين النـهـرين وســوريا (عـام ٢٦٥ م) وأخـضـع نصـيـبين وأسـر من الفـرس عـددا كـبـيـرا أرسلهم الي جـالينوس الرومانـى .

أصبح أذينة بعد ذلك سيد الشرق الرومـانـي ولقب بملك الملوك وأصبح حاكما عاما لسائر آسيا الرومانية ، وكـان كـثـيـرا مـا يغـيـر على الفـرس فـإذا مـا خـرج للحـرب أناب عنه زوجـتـه الزبـاء المعـروفـة فى التـاريخ

العربى بأسم زنوبيا .

بعـد وفـاة أذينة أصـبـحت الزباء هى الحـاكـمـة وكـانت ملكة قـوية فـريدة بين النسـاء ، فـقـد كـانت تجيد اللغات اللاتينية والإغريقية والمصرية والسورية فضلا عن جمالها وهيبتها ، أما عن شخصيتها فقد كانت حازمة ذات جـلال وهـيـبـة لم تكن تركب غـيـر الخـيل ولا تركب الهودج أبدا مثل سائر النساء ، تستعرض جنودها وهى مـرتدية لبـاس الحـرب وعلى رأسـهـا الخـوذة الرومـانيـة مـرصـعـة بالدر والجـوهر تولت زنـوبيـا قـيادة جـيـوشـهـا ونشـرت سلطانهـا على مـصـر والشـام والعـراق وآسـيا الصغرى إلى أنقرة ، وكانت زنوبيا كثيرة الأعتماد على رجالها من العرب والأرمن ، ولما قويت شوكتها حاصرها الرومـان فلم تجـد الا اللجـوء إلى الفـرس ، ولكن القـائد الرومـانى أورليـان أسـتطا ع اللحـاق بها والقبض عليـها عـام ٢٧٢ م وأسـتولى على خـزائن تدمـر ثم صـفـح عن الملكة الأسيرة وأطلق سراح أهلها وقضت بقية حياتها مع أبنا ءها .

عودة إلى شابور الذى اهتم بالأعمال العامة وتنظيم

الأمبراطورية ويرجع اليه الفضل فى أقامة مجموعة من المدن الجديدة مثل (نه شابور) أى شابور الخبر ، وهى ما يعرف بأسم نيسابور ، أما أهم ما يميز عصر شابور هو ظهور مانى (٢١٥ - ٢٧٣ م) وهو مؤسس مذهب المانوية * وهذا المذهب مزيج بين الديانات القديمة والمسيحية ، ادعى مانى أنه يوحى إليه عن طريق ملاك أسماه (الرفيق أو التوأم) ، وقد رعى شابور مانى هذا وقربه اليه ومنحه حق السفر فى جميع أنحاء الأمبراطورية للتبشير بديانته الجديدة والتى أصبحت دين الدولة .

خلف شابور أبناه هرمز الأول ٢٧١ ، ثم بهرام الأول الذى أعدم مانى بعد أن قبض عليه المجوس وعذبوه عذابا شديدا .. وفى عهد بهرام الثانى نشبت الحرب من جديد على روما وفى نفس الوقت شبت ثوره فى المقاطعات الشرقية للامبراطورية وأضطر بهرام الثانى الى التخلى لروما عن شمال بلاد الرافدين وأرمينيا .

---

* المانوية مذهب دينى متأثر بالبوذية والزرادشنية ، نادى به مانى فى القرن ٣ الميلادى وحكم عليه بالموت لادعائه النبوة ، وبالمذهب بعض التعاليم الروحية الخاصة بالسعادة بعد الموت . وقد قاومته المسيحية بعنف حتى قضى عليه عام ٥٠٠ م تقريبا .

أما بـهرام الثالث فلم يمكث فى الحكم الا اشهراً قليلة وتولى مكانه نرسى بن شابور الأول ولم يكن مـوفـقـاً فى علاقته مع روما ، وحاربها وهزم هزيمة ساحقة اضطر بعدها للتنازل لروما عن مـقـاطعـة أرمينيا الصـغـرى ومقاطعات شرق دجلة وتولى الحكم من بعده هرمز الثانى أبنه (٣٠٢ ـ ٣٠٩ م) ولم تحدث أية أحداث ذات قيمة فى عهد هرمزد الثانى فلما مات آل العرش الى شابور الثانى (٣٠٩ ـ ٣٧٩) وهو ما يعرف فى تاريخ الفرس بأسم شابور العظيم وقد تولى الحكم لمدة ٧٠ عاما ، إذ كان مازال طفلا حين آل اليه الحكم وفى عهد شابور العظيم سحقت الكوشان وسادت البلاد نهضة ثقافية وفنية كبيرة كما نجح شابور العظيم فى احراز بعض الأنتصارات على الأمبراطورية الرومانية ولكنها لم تكن أنتصارات ساحقة ذلك أن الامبراطورية الرومانية وجدت بعض العناد فى مقاتلة الفرس نظرا لبعد المسافة ووعورتها بين الامبراطوريتين .. لذلك كانت المناوشات الدائمة بينهما غالبا ما تسفر عن معاهدات صلح مؤقته سريعا ما تنقض .

بعد موت شابور الثانى عام ٣٧٩ م تولى الحكم ابنه

شابور الثالث ثم بهرام الخامس فيزدجرد الثانى ثم قباد الأول .

لم تقع فى عــهـود هؤلاء الملوك أحـداث تذكـر سـوى أنتشـار المسيحية فى الربوع الفارسية فقد كانت أرمينية ولاية فارسية ولكنها مسيحية لذلك تجدها تناصر روما على الفرس ولقى الدين الجديد قبولا عند بعض الأوساط الفارسية وأعتنقه البعض وفى عهد يزدرجرد الأول ٣٩٩ ـ ٤٢٠ م أنتشـرت المسيحية أنتشـارا ملحوظاً بفضل تشجيع يزدرجرد نفسه والذى لقب بـ " الملك المسيحى وفى عهده تمتع رجال الدين المسيحى بالمكانة والحرية في الحركة والدعوة ، وكان من الطبيعى أن يسعى هؤلاء إلي القضـاء على ديانة الفرس القديمة " الزرادشـتية " فهاجموا معابدها وكهنتها مما جعل يزدرجرد الأول ينقلب على المسيحين ، وأباح قتلهم والقضاء عليهم .

والتاريخ المسيحى يمجد يزدرجرد على الأقل فى الفترة التى ناصرهم فيها ومنحهم حرية ممارسة شعائرهم ، أما الفرس الساسانيون فيتهمونه بالخيانة ويلقبونه بـ " يزدرجرد الأثم " .

توفى يزدرجـرد الأول عـام ٤٢١ نتـيـجـة لمؤامـرة دبرها رجـال البــلاط ضــده ، وتولى الحكم من بعــده إبنه وهرام وقــد وصل هذا إلى الحكم بمســاعـدة ملك الحـيــرة العــربى والذى تربى وهرام فى كنفــه وحكم وهرام حـتى عـام ٤٣ .وكـان ملكا مـحبـوبا ولكنه كـان طائشا فى تصرفـاته وفى عـصـر وهرام نشـبت حـرب جـديدة بين فـارس وبيـزنطة بسـبب أضطهـاد الفـرس للمسـيحين ، وأنتـهت الحـرب بهـزيمة فـارس وأختـفى بهرام ولم يعرف مـصيره والفـرس يطلقـون على بهـرام لقب " الحـمـارالوحـشى " لأنه كـان أقـرب إليــه فى تصرفاته !

وخلف يزدرجـرر الثـانى أباه فى عـام ٤٣٩م ثم ابنه هرمـز الثـالث عـام ٤٥٧ م وتولـى الحكم من بعـده فـيـروز عام ٤٥٩ وهو أخو هرمز والذى قتله ليحكم من بعده ٢٥ عـاما مـتصلة عـانت البـلاد فيـه من سوء الأحـوال نظرا للجفاف ، وأفلاس الدوله .

وتولى بـعد ذلك قبـاذ أبن فـيروز وفـى عـصـره ظهـرت حركـة دينية جـديدة هى المزدكيـة نسبـة الى مؤ سسـهـا

مزدك *

وقد اعتنق قباذ المزدكية وقيل أنه أصدر قوانين تبيح الفساد وأخرى لشيوع الأموال والمذهب المزدكى الذى أعتنقه قباذ كان يدعو لثوره الفقراء وضرورة حصولهم على حقوقهم من الأغنياء وهو الأمر الذى دفع قياذ الى التمادى فى فرض الضرائب الباهظة على البلاد ، وهذا ما أثار سخطهم ودفعهم لعزله فى قلعة (جلجارد) والتى تعرف أنوش برد فى اللغة الفارسية وتعنى (قلعة النسيان) فقد كان من المحرم ذكر اسمها أو أسم أى سجين فيها لتشبه بذلك سجن الباستيل الرهيب فى باريس قبل الثورة الفرنسية ولكن قباذ أستطاع الهرب منها ونجح عام ٤٩٩ فى العودة الى الحكم وعزل أخاه زاماسب الذى جلس مكانه لمدة عامين تقريبا .

* * *

مزدك بن بامداد ولد فى بابل ومذهبه (المذدكية) قريب من المانوية ، وهو يدعو إلى الثورة الاجتماعية لتحقيق المساواة بين الناس ، وفى المذهب المزدكى دعوة للإباحية وسيادة الشهوات .

كسرى أنو شروان

تولى الحكم من بعد قباذ كسرى الأول الملقب بأنو شروان وهو أشهر ملوك فارس الساسانية على الأطلاق فقد كان مثالا للملك العادل الصالح نصيرا للفقراء والضعفاء وفي ذلك تروى القصص والأساطير .

فقد أستولى والى آذربيجان على بيت صغير لأمرأة عجوز رغم ثرائه الفاحش وثروته الطائلة فما كان من كسرى الا أنه آمر بسلخ الوالى ورمى لحمه للكلاب وأن يملأ جسده بالقش ويعلق على باب القصر على سبيل العظة والتمثيل !!

ولا ريب أن قصة كهذه - إن صحت - فانها ستكون مثالا للعدل (المبالغ فيه) وكذلك للقسوة المتناهية ، والواقع أن ملوك الفرس جميعهم أتصفوا بالقسوة والوحشية وبذلك فعندما يوصف كسرى بالرحمة فأن الحقيقة هى إنه كان أقل قسوة من الآخرين .

كان اهتمام كسرى أنوشروان الأول هو القضاء على طبقة النبلاء او على الأقل إضعافها وليس المقصود من ذلك مصلحة الشعب العامة أو خير البلاد ، بل كان الغرض من ذلك هو فرض هيبة الملك المطلقة ، وأن لا أحد غيره يحق له الربط والضبط فى الأمبراطورية .. فهو الملك الأعظم لاينازعه سلطانه أحد ، ومشيئته من مشية الأله وإرادته واجبة التنفيذ .

ومن أشهر أحداث عصر كسرى أنوشروان ذبح مزدك واتباعه وكان المجوس (كهنة الزرادشتية) والقس المسيحيين يهاجمون المذهب المزدكى باستمرار فقد أباح هذا المذهب نهب النبلاء وأختطاف النساء للمتعة وأحدث أتباعه فوضى عارمة فى البلاد ، فدعا رجال الدين الزرادشتى والمسيحى مزدك هذا فى محاورة دينية انتهت الى تكفير مزدك ونتيجة لذلك ذبح مزدك وأتباعه وأحرقت كتبهم وصدرت أموالهم وكان ذلك عام ٥٢٤ م بعد تولى كسرى الحكم بأثنى عشر عاما .

يتسم عصر كسرى بكثير من الإصلاحات لعل أهمها الإصلاحات القانونية ، فقد خففت الأحكام إلى حد ما ..

ولقى المجرمون معاملة تشوبها الرحمة والإنسانية ، ولا يعنى هذا أبدا تهاون كسرى مع أعدائه .. فقد أمر بسلخ أحد قادته حيا لهزيمته فى إحدى المعارك ، كما أمر بقتل جميع إخوته حين شعر بتدبيرهم مؤامرة ضده ، والأكثر من ذلك فقد أحرق جفني إبنه بالحديد المحمى حين تآمر ذلك الابن ضده .

كما أجرى كسرى بعض الإصلاحات الهامة فى مجال الاقتصاد وخاصة فيما يتعلق بالضرائب واستعان فى ذلك بمفتشين مهمتهم تحقيق العدالة الضريبية والتأكد من أن الضرائب لا تفرض على الأرض المجدبة أو الأشجار المثمرة .

كما أعيد فى عهده تنظيم الجيش واهتم بتسليحه وترسيخ معنى الولاء لدى الجنود واهتم بنواحى الفنون والإعمار ، واستيراد الكتب وترجمتها ، وفى عهده خضعت اليمن الحصينة للامبراطورية الفارسية .

تشيد الأوساط الشرقية عموماً بكسرى أنوشروان وتلقبه بـ " العادل " ففى عصره تغيرت الكثير من ملامح الحياة فى الأمبراطورية الى النحو الصحيح .

وفى عــام عــام ٥٧٩ تولى الحكم بعـد كســرى ابنه هرمزد الرابع ولكنه عزل وعين بدلا منه برويز المنتصر الملقب بكسرى (ابن هرمزد) الذى تآمر على أبيه وقتله .

فى تلك الفـتـرات أشتـعلت الحــرب مــجـددا على بيـزنطه وتمكن الفرس من هزيمتـهـا بل أصبـحـوا على مشارفها .

ولكن هـرقل الأمـبـراطور الرومـانى استطاع فى عـام ٦٢٢ أن يقهر كسرى " برويز " وأن يستعيد بعض أملاك الأمبـراطورية الرومـانيـة ، وهرب كسـرى ثم قتـل على يد ابنه " شرويه " والذى حكم البلاد من بعد أبيـه تحت أسم " قباذ الثانى " وعقد صلحا مع هرقل وذبح أخوته ! ولكنه مات بالطاعون بعد ستة أشهر من أعتلاوه العرش وتولى بعده ابنه أردشير الثالث .. ثم توالى الملوك بعد ذلك وكان أخرهم يزدرجرد الثالث ابن كسرى الثانى وهو آخر ملوك الساسان .

بينمـا كـانت تلك الأحـداث تجـرى فى الأمـبـراطورية الفـارسـيـة كـانت قـوة العـرب المسلمين أخـذه فى النمـو والقـوة .. وفى عـام ٦٣٦م وفـى عـصـر يزدرجـرد الثـالث

وقعت مـعركة القادسية بين جيوش المسلمين بقيادة سـعد بن أبى وقـاص وجيـوش الفرس بقيـادة رسـتم بن سـهبد فروخ هرمزد .

كـان جيش الفرس يتكون من مـائة ألف وعـشرين ألف جندى . يصـاحـبهم ثلاثون فـيلا بينما لايزيد عـدو جيش المسلمين عن عـشـرة الأف جندى على أكـثـر يقـدر كـان العرب يجـدون بلاد الفرس أصـعب منالا من بلاد الروم ، (الأمـبـراطورية البيـزنطيـه) فلمـا هزم العـرب الروم فى مـوقـعـة أجنـادين سنة ١٥هـ أطمـأن الخليـفـة عـمـر بن الخطاب رضى الله عنه وتحـول الى مـواجـهـة الفـرس ، فـبعث سـعـد بن أبى وقـاص وهو من كبـار الصـحـابة على رأس جيش التقى على جيوش يزدرجرد وفى العراق عند مدينة القادسية دارت الدائره على الفرس ، فقتل قـائدهم رستم وعدد كبير من جنوده وهرب البـاقون فتبعهم سعد الى مـدينة جلولاء عـام ١٦هـ ، وأوقـع بهم وأسـر إحـدى بنات كسرى وقتل عددا كبيرا من الفرس ، وكان من أثر فتح جلولاء أن اعـتنق بعض الفرس الإسلام .. فعـاهدهم عمر رضى الله عنه ورفع عنهم الجزية ، وأرسل سعد بن أبى وقـاص الى الخليـفة يبشـره بالفـتح فكتب اليـه عمر

رضى الله عنه " قف مكانك ولا تتبعهم ، واقنع بهذا ، واتخذ للمسلمين دار هجرة ومدينة يسكنونها ، ولاتجعل بينى وبينهم بحرا " فاتخذ سعد مدينة الكوفة وأسس بها المسجد الجامع .

ثم توغل سعد فى بلاد العراق ، واستولى على المدائن عاصمة الفرس بعد أن حاصرها شهرين وغنم العرب منها غنائم كثيرة ، من بينها بساط كسرى ، وفر يزدرجرد الثالث كسرى الفرس الى أصبهان .. ولم يزل العرب يتابعون فتوحهم فى فارس حتى أستولوا عام ٢٢هـ على قم وقاشان بعد أن أستولوا على نهاوند عام ٢١ هـ . ولكن أقدام العرب لم تثبت فى بلاد الفرس حتى تمكنوا من قتل يزدرجرد الثالث الذى فر الى خراسان عام ٣١ هـ فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه . وبموت يزدرجرد زالت الدولة الساسانية وتحققت دعوة النبى ﷺ بتمزيق ملك الأكاسرة .

* * *

ملامح الأمبراطورية الفارسية الساسانية

لم يختلف الملوك من بنى ساسان عن غيرهم من أباطرة العهد البائد من أخمينيين وبارثيين ـ فقد كانت القسوة المتناهية صفة مشتركة فى جميع هؤلاء ، يعود السبب فى ذلك إلى التمسك بالسلطة والسلطان وينتج عن ذلك ـ تلقائيا ـ الاستعداد لأقتراف أبشع الجرائم فى سبيل الاحتفاظ بالعرش أو اعتلائه أردشير بن بابك الساسانى قتل جميع أخوته بعد أن بايعوه ، فقد كان يخاف على ملكه من أى منافس محتمل !

وكسرى أنو شروان الملقب (بالعادل) آحرق جفنى ابنه لأنه تآمر ضده وقتل جميع المشتركين معه !

وكان من الملذات الشخصية للملك آن يرى عدوه وهو يعذب وتقطع أطرافه أو تسمل عيناه .. ونادرا ماكان الموت كعقاب يأتى سريعا أو سهلا .. فلابد أولا أن تمارس على الضحية أنواع شتى من التعذيب الجهنمى .. وكان المدنيون من الأمراء أو أفراد البيت

الحاكم ينالون قسطا وافرا من التعذيب الوحشى قبل أن يريحهم الموت .

أمـا أكـثـر الجـرائم التى خـصص لهـا طرق تعـذيب خـاصـة ، فـقد كـان ممارسـة السـحـر أولهـا .. وكـان قطع الطريق من الجرائم الكبرى ، كذلك التجديف والتحريف فى الدين .

أمـا وسـائل التـعـذيب أو العـقـاب فـقـد كـانت ابـتكارا خـاصـا لحكام الفرس القساة .

فالمجرم قد يكون عقابه أن تدهسه أرجل الفيل .

وقـــد يلقى فى وعـــاء على شكل بقــرة يذاب فـــيـــه الرصاص .

وقد يصلب على شجرة خاصة إذا كان المجرم قاطع طريق أو يمارس السـحـر أمـا أغرب أنواع العـقـاب فـهـو استـخـدام المذنبين كـحـجـارة فى البناء ، واسـتـعـمل هذا العقاب مع شهداء المسيحية بالذات !

والمشط الحديدى كان يستخدم لتقطيع لحم الضحية .. والأكثر من ذلك كان زبانيـة التـعـذيب يصبـون النفط فى اللحم المتهتك ثم يشعلون فيه النار !

وإدخـال إبرة مـحـمـاه فى مـآقى الضـحـيـة نوع من العقاب الشائع ، مثله مثل سلخ جلد المجرم حيا .. وكذلك كان كسر الأطراف ونزع اللسـان وصب المعدن المصهور فى الآذان .

لم يعرف التاريخ مثل هذه القسوة حتى فى الشعوب البدائيـة الغـارقـة فى الجهل والوحـشيـة لاعـجب إذن أن يكتسب الرعـايا خـصـال سلوكهم ، فعرف الفـرس دوما بالقسوة والخشونة والغدر .

* * *

الدين فى فارس

كانت ديانة زرادشت أو زادشترا هى الديانة السائدة فى إيران على مر العصور ، والديانة بسيطة فى جوهرها ومفهومها ، أهو رامازدا هو الأله العظيم جالب الخير وسبب النور .. أما أهريمن فيمثل قوى الشر والضلال والظلام - أولى إذن بأهورا مازدا أن يعبد ويقدس .

لم تمنع هذه الديانة السائدة من وجود آلهة أخرى يعبدها الناس فقد عبدت الشمس والقمر وآلهة أخرى أوجد الفرس لها قدرات معينة .

ثم ظهرت بدعة مانى .. ثم مزدك .. وكانت عبادة النار أهم شعارات المزدكية وانتشرت معابد النار فى كافة أنحاء الأمبراطورية ، وكان للفرس ثلاث نيران مقدسة .

نيران آذر فريغ وهى النار التى يقدسها الكهنة

ونيران آذر كشناسب وهى النار الملكية

ثم نيران أذر بورزين وهى نار الفلاحين والرعاة

أما الآلهة الأخرى أو الملائكة فقد كان لكل إله وظيفة واختصاص فشهربور ويسميه الفرس (خشائرا ويربا) هو رئيس الملائكة .

وداد هو إله الخلق

وبهن هو إله الفكر الطيب

ومرداذ أو أمرتان هو إله الخلود ..

والأعياد الدينية كثيرة عند الفرس أهمها عيد النيروز (٢١مـــارس) وهـو عـيـد رأس السنة فى التـقـويم الفارسى .

وعيد المهرجان هو عيد مترا

وعيد ساذك أو سادة وهو عيد النار

وكان الكهنة (الماجى أو المحوبس) وصنعا متميزا فى المجتمع الفارسى ولكنهم كانوا دائما فى صف الملك .. يؤيدون ظلمه وجبروته .. ولم يعرف لهم رأى أو اتجاه الا فى حالات ظهور البدع الكفيلة بانتقاص سطوتهم لدى الشعب مثل البدعة التى أتى بها مانى .. وتلك التى أسسها مزدك . وقد سبق إيضاح ذلك عند

الحـديث عن هاتين البـدعـتين اللتين ظـهـرا فى فـارس وأستطاعتا جلب العديد .

وكان للكهنة بجانب وظيفتـهم الدينية المألوفة أن يتولوا أعمال القضاء وإثبات حالات الميلاد والوفاة وأبرام عقود الزواج ، وقـد عرف الكـهنة بثـرائهم الفـاحش مما جـعلهم طبقة خاصة شديدة التميز داخل المجتمع الفارسى .

ورئيس الكهنة كان يسمى موبدان مويد وهو مثل البابا عند النصـارى وهو السلطان والأعلى فى المقام الدينى .. وكـان الملك هو الذى يقـوم بتـعـيـينه ، وكـان هو نفسـه مسئـولا مسئولية كاملة عن تـعيين وعزل الكهنة ورجال الدين ، وكان هو الذى يشكل مـحاكم التفتيش المختصة بمـحاربة البدع ومـحـاولات تحـريف الدين . وكـانت الدولة مقسمة الى مراكز دينية على رأس كل منها موبد ويليهم طبقـة رؤسـاء المعـابد ويلقبون بلقب مـغان مغ أمـا رجال الدين الصغار فقد كان اسمهم المغان .

والهـربذان هو الكاهن المسـئول عن أقـامـة الشـعـائر الدينية ومعنى كلمة هربز هو خادم النار .

والرئيس الأعلى للهــرابذة هو الـهــربذان هـربز ويلى

الميدان مويد وكان على كل فرد أن يصلي للشمس أربع مرات أثناء النهار وأن يصلى للقمر والنار والماء .. ولا يصح أبدا أن تخبو نار البيت ولايجوز أن تصل أشعة الشمس إلى النار ، ولا يجوز أن يقترب الماء من النار .

وانية المعدن يجب أن تبقى نظيفة لامعة لا صدأ فيها لأن المعادن كانت مقدسة .

* * *

نظام الإدارة

كان المجتمع الساساني مجتمعا طبقيا . وتميز بوجود أربع طبقات رئيسية .

- طبقة رجال الدين « آثروان »
- طبقة رجال الحرب « ارتشتاران »
- طبقة الكتاب وموظفى الدولة « ديبران »
- طبقة الشعب (الفلاحين : وستربوشان - والصناع : هوتخشان)

كانت تلك الطبقات هى قوام المجتمع الفارسى وبنفس الترتيب أعلاه كانت الامتيازات والصلاحيات .. ويعنى هذا بالطبع تدهور أحوال طبقة الشعب من العوام وهو على مايبدو سمه هذه الطبقة دائما على مر العصور والأزمان .

وكان هناك توزيع طبقى آخر خاص بالطبقة الحاكمة من الامراء وحكام الولايات وهذا التوزيع كان كالآتى :

- شهرداران : وهم الأمراء

- واسبوهران : رؤساء وأفراد العائلات الكبرى

- برزكان : الأشراف والنبلاء

- إزادان : النبلاء والأشراف الأقل شأنا

- وكان الأمير الذى يحكم يلقب بالشاه أما الملك فهو الشاهنشاه أو ملك الملوك والأمراء قد يعدون لتولى العرش .. ولم تكن الوراثة هى المعول الوحيد لإعداد الملك القادم .. فالملك كان يستطيع عزل أى أمير أو حاكم .

- أما رؤوس العائلات الكبرى فقد توارثت مهام ممتازه ومحددة - فهناك أسرة توارثت المسئولية عن شعائر تتويج الملك ، وأخرى كانت تتولى إدارة شئون الحرب .. وأخرى تتولى جباية الضرائب .. وهكذا .

- أما البرزكان فهم الأشراف والنبلاء ويمثلهم الوزراء والضباط الكبار ورؤساء الادارات .

- وإزادان هم الأشراف الذين يشغلون المناصب الإدارية الصغيرة ويصح تسميتهم برجال الصف الثانى

بعد البرزكان .

وكان رئيس الوزراء ويسمى هزاربد هو المكلف بإدارة أمـور الدولة تحت رقـابة الملك وهـو الذى يحل مـحله فى حالة غيابه .

ويسـاعد رئيس الوزراء طبـقـة من الكتـاب والموظفين مهمتهم توثيق الأعمال وترتيبها وكان فى بلاط ملك إيران كاتب متخصص بالشئون العربية وأخر متخصص فى حفظ الأختام والسجلات .

وكان لكل إقليم حاكم يسمى ستراب أو مرزبان وكان المرزبان يخـتـار من بين النبـلاء أو الأشـراف ، ويحق للمـرزبان فى بعض الأحيـان أن يجلس على عـرش من الذهب أو الفضة .

وكان رئيس الزرا ع هو مدير الضريبة العقارية ويطلق عليه لقب واسـتربوشـانسـلار وكـان يشـرف أيضـا على تحصيل الضريبة على دخل الصنا ع وأصحاب الحرف (توخش بد) وكانت الضرائب تمثل دخلا هاما ورئيسيا للدولة .. أو للملك على الأصح ولم يكتف الملك بذلك .. فقد أجبر الملاك فى بعض الأعياد على تقديم الهبات والهدايا

قسرا كما كان للملك حقوق فى الموارد الطبيعية كمناجم الذهب والفضة والمعادن عموما .

كما كانت الرسوم الجمركية موردا هاما للخزينة العامة . أضف إلى ذلك غنائم الحرب وأعمال المصادرة والسلب .

كان معظم إنفاق الدولة موجها الى الناحية العسكرية .. وبالطبع كان الملوك الرحماء .. وهم قلة - يوزعون الهبات على الفقراء والمحتاجين .

* * *

العلاقة بين الأمبراطورية الفارسية والأمبراطورية الرومانية البيزنطية

عندما أسس قسطنطين دعائم الامبراطورية الرومانية الشرقية فى بيزنطة عام ٣٢٠ ق.م كان دافعة فى ذلك إيجاد بديل للأمبراطورية الغربية فى روما والتى ادت عوامل الفساد والحرب إلى تقويضها وإنهيارها ، ولكن أحدى دوافعه أيضا كانت مقاومة الخطر الفارسى المتنامى من مكان قريب ، فقد كان الفرس الطغاة القساة يواصلون فتوحاتهم ولم يكن من المستبعد أنهم يبغون سيادة العالم وفرض سيطرتهم على كافة بلدان المعمورة ، لذا نجد أن أهم أحداث عصر قسطنطين(ومن تلوه) هو الحروب البيزنطية الفارسية .. كانت الأمبراطورية الرومانية هى معقل المسيحية وكانت فارس وثنية .. فأصطبغت الحروب بينهما بالصبغة الدينية أحيانا ، ولكن الواقع المؤكد أن كل الأمر لايعدو تنافسا على السيادة والقوة .

ولكن الحرب والسياسة شئ والمصالح والمنافع شئ أخر ، فالبرغم من الحروب المستمرة والطاحنة .. الا أن العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الأمبراطوريتين كانت قائمة ، ومزدهرة فى بعض الأحيان . ففى الجنوب كانت الجزيرة العربية هى الفاصلة بين أملاك الأمبراطوريتين ولم تمانع أيا منهما فى قيام دويلات متجاورة ولكنها منحازة إلى أحدهما .. فقد سيطر الفرس على الحيرة والتى كانت مسيحية بينما سيطر الرومان على الغساسنة الموالين للفرس .. وكانت هذه الأنحاء مسرحا لتجارة رابحة بين الأمبراطورتين حيث انتقلت التوابل والبخور وغيرها من البضائع الثمينة فى عمليات تجارة نشطة ورابحة وفى فترات السلام كانت الأمبراطوريتان تتبادلان السفراء .. وكان لكل سفير الحق والحماية فى التوغل فى أراضى العدو .. وغالبا ما كان ينشأ عن هذه السفارات نوعا من التبادل الثقافى والحضارى أثر فى كلا من الحضارتين .

فمثلا نقل الفرس عن بيزنطة فكرة ألوهية الحاكم ، وفى بيزنطة اقتدى الأمبراطور بمظاهر الفخامة والترف فى ملابس الحاكم وحاشيته والطقوس والمراسم التى

تصاحب حضوره ومقامه ، كذلك تأثر الرومان بالقصور الفارسية الفائقة الفخامة والروعة .

واحتكر الشرق الذى تسيطر عليه فارس تجارة ما يطلق عليه " سلع الترف " فقد كان الرومان مولعين بالتوابل فى موائدهم .. وبالبخور فى معابدهم كما كانت الأحجار الكريمة لازمة فى تزيين التيجان والقصور وكنوز الرومان .

ويبقى الحرير سلعة يحتكرها الشرق ويحتاجها الرومان بشدة فقد أرتدى جميع الرومان هذا النسيج الفاخر من أباطرتهم الى عوام الشعب فيهم ، وكان الحرير وصناعته سرا من أسرار الشرق حتى عرف الرومان سر دودة القز عام ٥٥٢م ولكنهم لم يتعلموا كيفية صنعه وصياغته الا بعد ذلك بقرون عديدة ومن فارس عرف البيزنطيون كيفية زخرفة المنسوجات ، والأبنية والأعمدة ولا شك أن الشرق بسحره وأفكاره وخياله قد أثر تأثيرا مباشرا على نواحى الفن البيزنطى .

وفى نفس الوقت استفاد الفرس من بعض الملكات الرومانية فالرومان أصحاب خبرة طويلة فى مجال

الإعمار والبناء . ولا عجب أن يستفيد الفرس من الأسرى الرومان أصحاب المهارات والحرف ، فلم يكن المهندس الروماني أو الحرفي منهم يساق الى معتقلات الأسرى ، ولم يكن يلقى معاملة العبيد . بل كان يوجه الى استعمال حرفته .

ففي عهد كسرى أستعار هذا عددا ، من العمال البيزنطيين لأعمال البناء والتشييد والجسر العظيم الذى بناه شابور الأول قام بانشائه مهندس بيزنطي .

الواقع إذن أنه كان هناك تبادل حضارى وثقافي بين الأمبراطوريتين العظيمتين ، ولم تكن العلاقة بينهما علاقة حرب وقتال فقط . نعم لقد كسبت الانسانية ذلك التراث الضخم من أثار القصور وأطلال المعابد ـ لعلها مازالت تدر عائدا ماديا ضخما من نوافد السياح عليها ، ولكنها في المقام الأول قامت على أراضى ومسطحات ارتوت بدماء الالاف من الموتي والجرحى .. دامت حضارتهما .. ولكنهما لم يدوموا .

* * *

(تمت)

كتاب ينافس الكمبيوتر في سرعة الحصول على المعلومة

هذه المجموعة

خاصة بالشباب .. تتضمن الكثير من الفنون ،

والآداب، والعلوم الدينية.

وقد اخترنا هذا الحجم من الكتاب، لتقديم المعلومة

فى شكل مبسط ومفيد، ليناسب روح العصر من حيث

سرعة العرض واستيعاب المعلومات العامة

وقد اخترنا لهذه المجموعة الأسم المبسط للنشر وال

.. حتى يسهل على الشباب التعرف عل

راجين لهم الاستفادة فى زمن المعلومات

C.D.
أحدى مجموعات المركز العربي للنشر
معروف أخوان
الإسكندرية - ت: ٤٨١٠٨٢٨ - فاكس: ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة: ٢٦١١٢٢٩

السعودية	الكويت	مصر	الامارات	ليبيا
٥ ريال	٥٠٠ فلس	٣,٠٠	٥ درهم	٢دينار